12 me Année No. 594

Lundi - 20 - 11 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٩٤ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ذي الحجة سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهــرس

قادة الفكر ...

للدكتور محمد مندور

منذ القدم والمستنيرون من الناس يقتتلون حول قادة الفكر ، فمنهم من يدعوهم إلى الكفاح مع مواطنيهم عند ما يدعو داعي الوطن ، ومنهم من يود لو نأى بهم عن كل ضجة فانية ليتوفروا على خلق الأفكار الباقية ، وصياغة المشاعر التي تتغذى بها الأجيال في كل زمان ومكان . وتلك قضية تستحق النظر فما لا شك فيه أن الكاتب — وبخاصة إذا كان انفعالى الطبع — لا يملك في بعض الأحيان أن يدفع إحساسه بالمسئولية ، فكلما رأى فساداً من حوله أو أحس ظلماً يقع على الناس أو جراحاً تصيب وطنه ثارت نفسه ، وكأن سكوته تأمين على ما يرى إن لم يكن مشاركة فيه . ولقد يتساءل الناس من حوله عن سر حماسته لهذه الفكرة أو تلك دون أن يحظوا برد يقنع العاديين منهم لأن الرد الوحيد هو طبيعة الكاتب وحرارة قلبه

وموضع التدبر هو أن نتساءل عما يستطيع الكاتب عندئذ أن يكتب دون أن يصيب كتابته الفناء ، وليس أشق على نفس الكاتب من أن يحس بأن جهده سيتبدد أنفاساً ، وأن كل ما يخط لن يخلف أثراً لأنه وليد ملابسات يومية لن تلبث أن تتغير فتفقد كتاباته قيمتها . ولكن هذا قول ليس صحيحاً

على إطلاقه ، فإلى اليوم لازلت أقرأ خطب ديموستين الزعيم الإغريقي الخالد يوم كان يكافح فيليب المقدوني ويدعو مواطنيه إلى مكافحته دون أن يثنيه عن ذلك حتى اليقين بأنه ومواطنيه سائرون إلى الهزيمة مؤمناً بأن الجهاد غاية نبيلة في ذاتها ، وأنه من الخير أن تموت وسلاحك بيدك عن أن تنفـق في فرق الجبان . ولا زلت أقرأ لروبسبير وهو يناهض ما صاحب الثورة الفرنسية الـكبيرة من انحلال في الخلق وتقلب في العقائد وتيقظ في الشهوات واستحصاد للضغائن العمياء . ويدعو إلى أن يكون الطموح عملاً على استحقاق المجد وتقدير الشعب ، أقول إنني لازلت أقرأ للخطيب الإغريقي أو الخطيب الفرنسي فلا أستطيع أن أقول مع القائلين إن الـكتابات أو الأفـكار التي تولدها ظروف خاصة سيصيبها الفناء . فـكل كتابة تستطيع أن تخلد بما تحمله من عناصر إنسانية ثابتة ، والإنسان هو الإنسان في كافة عصوره . وسيظل أبد السنين يهتز لمعاني الـكرم النفسي

هذه إذن قضية الحق فيها واضح . ولـكن ثمة قضية أخرى أشق منها علاجاً وهي : أيهما أجدى على قادة الفـكر : أن يتوفروا على فهم الإنسان وشق الحجب عن أسراره النفسية أم ينصرفوا إلى توجيهه وقيادته . وهنا قد يبدو التعارض واضحاً ، ولـكنه في الحق تعارض سطحي . وكبار الـكتاب يجمعون دائماً بين الأمرين دون أن يقصدوا إلى أيهما . ففهمك للانسان وتبصيرك إياه بحقائقه الغامضة فيه خير توجيه له . وإنه لمن الحمق أن يظن أشباه الأميين أن باستطاعتهم أن يخلقوا أمة أو يوجهوا رأياً توجيهاً ثابتاً بالألفاظ الخطابية الرنانة أو بالجمل المرصعة الجوفاء، فهذه حماقات موقوتة التأثير وأما الأثر الباقي فهو ما تستمده من حقائق النفس لترده إليها ، ولـكم من مرة يكون من واجبك إذا أردت أن ترفع قلباً أو تحث عزماً أن تسلم له بادىء الأمر بحقه في أن يبتئس أو يتوانى عزمه ، ولـكم من مرة يكون في هذا التسليم ذاته أكبر ناهض بالنفوس ، وأما المـكابرة وأما التنكر لحقائق النفس البشرية ومحاولة أخذها بالضجيج فذلك تفـكير عقيم .

وإذن فشكلة الفهم أو التوجيه هي الأخرى محلولة في أعماقها. ولعل في تحديد العلاقة بين رجال الفـكر وبين رجال السياســة ثم بين رجال الفـكر وبين بيئاتهم مشكلات أشق من السابقتين

بعض رجال السياسة ليسوا من قادة الفـكر ومنهم من لا يكاد يقرأ كتاباً ، وتلك لاريب آفة شديدة الأثر على الحياة العامة ، وقديماً رأى إفلاطون أن يقود الفلاســفة المدينة . وقادة الفـكر بدورهم ليسوا جميعاً ممن يطيقون مجابهة الجماهير وخوض المعارك السياسية ، ومن هنا تنشأ طائفة من السياسيين لا علاقة لها بالفكر وطائفة من المفـكرين لا صلة لها بالسياســة ، ومن عجيب الأمر أن ترى في التاريخ مفـكرين سياسيين جاء تفـكيرهم تقريرياً بحتاً بحيث لم يدعوا إلى عمل ولا نادوا بتغيير ، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك كارل ماركس الذي يتخذه الاشتراكيون اليوم زعيما لهم ، فقد كان الرجل مؤرخاً عالماً لا سياسياً عاملاً ، وهو لم يناد بتحقيق مذهب وإنما درس الماضي وتنبأ بأن تصيب العالم في يوم من الأيام أزمة اقتصادية تقضي طبيعتها ألا يكون لهـا حل غير الاشـتراكية ، ومع ذلك كم من السياسيين استطاعوا أن يتخذوا من مبادئه التقريرية دعوة إلى الثورة ومبادىء للعمل الإيجابي . ولقد يتفق أحياناً أن يقول مفكر بنظرية من النظريات في بلد ما ، ثم لا تطبق إلا في بلد آخر ، ولعل أوضح مثل لذلك مونتسكيو الفرنسي ونظريته في فصل السلطات ، ففرنسا لم تطبق هذه النظرية على نحو دقيق وإنما طبقتها أمريكا . والأمر في العلاقة بين رجال الفـكر ورجال السياسة عندئذ شديد الشبه بالعلاقة بين رجال العلم ورجال الصناعة . فالعلماء يكشفون عن قوانين المادة التي تمـكن من تسخيرها للانسان ويصوغون قوانينهم معادلات جبرية ، ويأتي رجال الصناعة فيستغلون تلك القوانين والمعادلات في الإنتاج الاقتصادي والإثراء به . ولـكن الوضع بين العلماء والصناع قد يكون مقبولاً على نحو ما هو الآن ، بينما هو بين المفـكرين والسياسيين محفوف بأشد المخاطر على سلامة الأمم واستقامة الحـكم فيهـا . ولقد تعقدت أمور الحياة العامة في العصر الحديث بحيث لم يعد كافياً لقيادة الأمم أن تكون وطنياً مخلصاً أو ذا وجاهة اجتماعية ، بل لا بد لك من ثقافة عامة شاملة حتى تعالج الأمور على نحو سديد مستنير

وعندما يصبح السياسيون من قادة الفكر ستتحدد العلاقة بينهم وبين بيئاتهم . فللرجل المفكر في وسطه مهمتان : أولاهما أن يبصر قومه بحالتهم الحقيقية ، حتى يعوا ما هم فيه من شقاء وتخلف ، وذوو النظر مجمعون على أن البؤس ذاته لا يحرك الشعوب ، وإنما يحركها أن تفطن إلى ما هي فيه من بؤس . ولعل في حالة الفلاح المصرى أوضح دليل على ما نقول ، ومهمته الثانية هي أن يسبق الأمم إلى آمالها الغامضة ، ومن هنا ترى أغلبية الكتاب المفكرين من الداعين إلى الأفكار المتقدمة ، فهم رسل الرجاء وبألسنتهم تشكو النفوس آمالها وتتطلع إلى سعادة أتم . وهذا هو السر في أنهم يعيشون دائماً في كفاح مع بيئاتهم وكثير منهم لا يستجاب لندائه إلا بعد موته بسنين ؛ فعندئذ يُقر لهم بالفضل وتقام لهم النصب وتنزل آراؤهم من القلوب منزلة الإيمان

محمد مندور

١ ـ أبو تمــــام

وموازين السرقات الشعرية عند ابن الأثير

للأستاذ دريني خشبة

رأينا أن أبا تمام لم يشتغل طول حياته بغير الشعر تأليفاً وتصنيفاً ، ورأينا كيف كان يختار مرة المشهورين ثم يختار أخرى لغير المشهورين ، فيحكم ذوقه النقاد في الحالين ، فلا يقدم إلينا إلا كل درة وكل غرة من درر الشعر العربي وغرره ... ولم يكن أبو تمام مصنفاً ومؤلفاً فحسب ، بل كان حافظاً ، بل كان أعجوبة في الحفاظ الذين اشتهر بهم تاريخ الفكر العربي ... ورأينا اتفاق آراء خصومه وأصدقائه على أنه كان يأخذ المعنى ، فيمنى بتخميره — على رأى الآمدى — أو بالاتكاء فيه على نفسه — على رأى الصولى — حتى يخلص له آخر الأمر ، أو لا يخلص له ، بل يشوهه وينقص منه ، كما صرح بذلك دعبل وابن الأعرابى والتوّجى وأبو هفّان وأبو حاتم السجستانى وغيرهم من أعداء أبى تمام ...

وقبل أن نأخذ في عرض طائفة من سرقات أبى تمام ، مما استدركه عليه الآمدى ، لا نرى بداً من وضع خلاصة لذلك الفصل القيم الذى ختم به الأستاذ العلامة أبو الفتح بن الأثير كتابه (المثل السائر ، في أدب الكاتب والشاعر[1]) والذى خصصه للسرقات الشعرية ، ولا سيما عند أبى تمام والبحترى ، وابن الرومى والمتنبى ، وهو فصل من أبرع الفصول في بابه ، وأكثرها إحاطة بهذا الموضوع الذى تشعبت أطرافه ، وكثر فيه إرجاف الرواة والنقاد . ومن الطريف أن ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧هـ كان قد ألف في ذلك الموضوع كتاباً قائماً بذاته ، ثم ضاع هذا الكتاب ، فعوضنا منه بذلك الفصل خيراً

١ — فعند ابن الأثير أن الشاعر إذا أورد شيئاً من ألفاظ شاعر آخر ، في معنى من معانى هذا الشاعر ، ولو كان ذلك لفظة واحدة ، فإن ذلك يكون دليلاً قاطعاً على سرقته

٢ — ويقسم السرقات الشعرية إلى خمسة أقسام : هى النسخ ، والسلخ ، والمسخ ، وأخذ المعنى مع الزيادة عليه ، ثم عكس المعنى إلى ضده

٣ — أما النسخ ، فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته ، من غير زيادة أو نقصان ؛ وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى ، وأما المسخ فهو إحالة المعنى إلى ما دونه

٤ — ويعود ابن الأثير فيجعل النسخ على ضربين : فإما أخذاً كاملاً كما تقدم ، وإما أخذ معظم اللفظ والمعنى كله ، كقول أبى نواس :

دارت على فتية ذل الزمان لهم ... فما يصيبهمو إلا بما شاءوا

فقد نسخه من بيت في أصوات معبد ، وذكره أبو الفرج :

لهفى على فتية ذل الزمان لهم ... فما أصابهمو إلا بما شاءوا

ومثل قول أبى تمام :

محاسن أصناف المغنّين جمّة ... وما قصبات السبق إلا لمعبد

نسخه ممن مدح معبداً ، وذكره أبو الفرج ، فقال :

أجاد طُوَيش والسُّريجى بعده ... وما قصبات السبق إلا لمعبد ؟!

٥ — ثم يقسم السلخ فيجعله أحد عشر[2] نوعاً : « وهذا

(١) النسخة التى نلخص منها هذا الفصل هى التى نشرها الأستاذ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد وعنى أحسن العناية بتحقيقها

(٢) المذكور فى كل النسخ أنها اثنى عشر نوعاً إلا أن الموجود فيها بالفعل أحد عشر فقط

التقسيم أوجبته القسمة ، وإذا تأملته علمت أنه لم يبق شيء خارج عنه ! »

فالأول : أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ، ولا يكون هو إياه ، وهذا من أدق السرقات مذهباً ، وأحسنها صورة ، ولا يأتي إلا قليلاً كقول بعضهم :

لقد زادني حباً لنفسي أنني بغيض إلى كل امرئ غير طائل

أخذه المتنبي فقال بيته المشهور :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وقول أبي تمام :

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

أخذه البحتري فقال :

ركبا القنا من بعد ما حملا القنا في عسكر متحامل في عسكر !

والثاني : أن يؤخذ المعنى مجرداً من اللفظ ، وهو صعب قليل الورود ، بل هو من أشكالها ، وأدقها ، وأغربها ، وأبعدها مذهباً ، كقول أبي تمام :

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة

تقـــوم مقام النصر إذ فاته النصر

فقد سلخه من قول عروة بن الورد :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح

ليبلغ عذراً . أو ينال رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل مُنجح

ولا يخفى ما في بيت أبي تمام من الجمال والعبقرية في السلخ مع حسن السبك !

والثالث : أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وهو عند ابن الأثير من أقبح السرقات وأظهرها شناعة ، وقد افتضح بهذا النوع البحتري خاصة ، ووقع فيه أبو تمام كثيراً ، مثل قوله :

فلم أمدحك تفخيماً بشعري ولـكني مدحت بك المديحا

فقد سلخه من قول حسان :

ما إن مدحت محمداً بمقالتي لـكن مدحت مقالتي بمحمد

وقول ابن الرومي :

جرعته العيون فاقتص منهـــا

بجوى في القلوب دامي النـدوب

فقد سلخه من قول أبي تمام :

أدميت باللحظات وجنتـه فاقتص ناظره من القلب !

وسرقة ابن الرومي ظاهرة مفضوحة لا شك فيها ويخفف من وزر السارق في نظر ابن الأثير أن يجيء بلفظ أحلى ، أو معنى زائد فيه جمال . أما أن ينحط عن الأصل ، فهذه هي الشناعة التي ما مثلها شناعة عنده !

— والرابع أن يؤخذ المعنى فيعكس . وهو حسن يكاد يخرجه حسنه عن السرقة ، كقول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة شغفاً بذكرك فليلمني اللوم

عكسه المتنبي فقال :

أأحبه وأحب فيه ملامة ؟ إن الملامة فيه من أعدائه

— والخامس أخذ بعض المعنى ، كقول أبي تمام :

يُدعى عطاياه وفرا وهي إن شهرت

كانت فخـاراً لمن يعفوه مؤتنفا

ما زلت منتظراً أعجوبة زمناً حتى رأيت سؤالاً يجتنى شرفا

أخذه من قول أمية بن أبي الصلت :

عطاؤك زين لامرىء إن حبوته ببذل ، وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرىء بذل وجهـه

إليك كما بعض السـؤال يشين

— والسادس هو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر ، كقول ولد مسلمة :

أذلّ الحياة ، وكره الممات وكُـلا أراه طعاما وبيلا

فإن لم يكـن غير إحداها فسيرا إلى الموت سيراً جميلاً

أخذه أبو تمـام فقال :

مثّل الموتَ بين عينيه والذلّ وكُـلاًّ رآه خطباً عظيما

ثم سارت به الحميّةُ قدْما فأمات العِدا ومات كريما !

فزاد في المعنى : فأمات العدا ومات كريما

— والسابع أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من الأولى ، وهنا تتجلى عبقرية أبي تمام ... ولله من قال : من سرق معنى واسترقه ، فقد استحقه : وإن كنا لا نشجع السرقة !!

قال بعض الشعراء :

مُخـصّـرة الأوساط زانت عقودها

بأحسن ممـا زيّنتهـا عقودُها

أخذه أبو تمام فقال :

كأن عليهـا كل عقـد ملاحةً

وحسناً وإن أضحت وأمست بلا عقـد

وسطا عليه البحتري فقال :

إذا أطفأ الياقوت إشراقُ وجهها
فإن عنـاءً ما توخت عقودُهـا

وكلاها رقق المعنى وزاده حسناً

— والثامن أن يؤخذ المعنى ويوجز فى سبكه ، وهو عند ابن الأثير من أحسن السرقات كقول أبى العتاهية :

وإنى لمعذور على فرط حبها لأن لها وجهاً يدل على عذرى

أوجز فيه أبو تمام فقال :

له وجه إذا أبصر ته ناجاك عن عذرى !

وقول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجتـه
وفاز بالطيبات الفـاتك اللهـج

أوجز فيه تلميذه سلم الخاسر فقال

من راقب الناس مات غماً وفاز باللـذة الجسـور !

— والتاسع أن يكون المعنى عاماً فيجعله السارق خاصاً والعكس : كقول الأخطل .

(ونسبه الناشر إلى أبى الأسود) :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليـك إذا فعلت عظيم

خصصه أبو تمام فقال :

أألوم من بخلت يداه وأغتدى للبخل تربا ؟ ساء ذاك صنيعاً

وقال أبو تمام :

ولو حاردت شُولٌ عذرت لقاحها
ولكن مُنِعتُ الدرَّ والضرع حافل

عممه المتنبى فقال :

وما يؤلم الحرمان من كف حارم
كما يؤلم الحرمان من كف رازق

— والعاشر زيادة البيان مع المساواة فى المعنى ، أو ضرب مثال يوضح المعنى المسلوخ : كقول أبى تمام

قد قلَّصت شـفتاه من حفيظتـه
فخيل من شـدة التعبيس مبتسما

توسع فيه المتنبى فقال :

وجاهل مده فى جهله ضحكى حتى أتته يد فراسـة وفم

إذا رأيت نيوب الليث بارزةً فلا تظنن أن الليث يبتسم

وهذا عند ابن الأثير من المبتدع لا من المسروق !

— والحادى عشر هو اتحاد الطريق واختلاف المقصد ...

وذلك أن يسلك الشاعران طريقاً واحدة تنتهى بهما عند جنتين مختلفتين ! ثم تتجلى فيهما عبقرية كل منهما ... وقد ضرب ابن الأثير لذلك مثلاً قصيدة لأبى تمام فى الرثاء بولدين وقصيدة المتنبى فى الرثاء بولد . ومطلع قصيدة أبى تمام :

ما زالت الأيام تخـبر سائلا أن سوف تفجع مسهلاً أو عاقلا

وهى موجهة إلى عبد الله بن طاهر . ومطلع قصيدة المتنبى :

بنا منك فوق الرمل ما بك فى الرمل
وهذا الذى يضنى كذاك الذى يُبلى

وهى فى رثاء أبى الهيجاء بن سيف الدولة وقد توفى صغيراً ، ثم أقام بينهما موازنة يشوهها التلخيص ، فيحسن الرجوع إلى المثل السائر ليشهد القارئ مثلاً من أمثلة العبقرية العربية فى النقد الأدبى الدقيق (ج ٢ ص ٣٩١ وما بعدها) ، وإن ظهر فيها ابن الأثير متحزباً (بحق !) للمتنبى ، مع سلخ المتنبى كثيراً من معانى أبى تمام . ثم إنه فضل المتنبى على البحترى فى وصفهما الأسد فى قصيدتين متشابهتين تواردا على كثير من معانيهما ، ولعل هذا التوارد هو الضرب الثانى عشر من السلخ الذى لم يشر إليه ابن الأثير

ثم يعرف ابن الأثير المسخ فيذكر أنه « قلب الصورة الحسنة إلى صورة قبيحة ... والعكس » على أن هذا العكس ليس فى رأينا مسخاً ، بل هو خلق وابتـداع وتجميل يقتضيه الذوق الدقيق الصناع

قال أبو تمام :

فتى لا يرى أن الفريصة مقتل ولـكن يرى أن العيوب مقاتل

مسخ صورته المتنبى فقال :

يرى أن ما مابان منك لضارب بأقتل ممـا بان منك لعائب

والمسخ هنا هو فى تجاور ما وما المختلفتين معنى

* * *

وحسبنا الآن هذا القدر مما لخصناه من ابن الأثير ، وهو تلخيص نضعه بين يدى القارئ العَجِل ، ليكون نوراً يكشف له جوانب الظلام وجوانب العبقرية ، فيما سنقدمه له من سرقات أبى تمام التى أحصاها عليه الآمدى . ولو أن ابن الأثير تولى عنا الفصل بين أبى تمام وخصومه ، لأمدنا بذخيرة لا تنفد ، وبد لا تجحد ... رحم الله نقادنا الأفذاذ وجزاهم عنا خيراً

دريني خشبة

قضية المرأة أيضا

للأستاذ زكريا ابراهيم

إذا كان الرجل والمرأة سواء ، اللهم إلا فيما يرجع إلى الجنس ، فلا بدّ لنا إذن من أن نستند إلى البحوث الفسيولوجية الخاصّة بمسألة التفرقة بين الجنسين ، حتى نستطيع أن نفصل في « قضية المرأة » فصلاً علميًّا صحيحًا . والبحوث الجنسيّة التي أجريت في هذا الصدد كثيرة متعددة ، ولكن النتائج التي تُستخلص منها مختلفة متعارضة . وسنحاول في هذا البحث الموجز أن نجد أساساً مشتركاً بين كل هذه البحوث ، نجعله عمدة لنا في الوصول إلى رأي صحيح تنحلّ به مشكلة الجنسين ، وبالتالي قضية المرأة .

وأول رأي يواجهنا في مسألة الجنسين ، هو ذلك الرأي القديم الذي ينظر إلى المرأة والرجل على أنهما جنسان مختلفان ، يقوم كل منهما بنفسه ، ويستقلّ كلٌّ منهما عن الآخر . وهذا الرأي يقضي بأن يكون الرجل متميّزاً كل التميّز من المرأة ، لأن جنس الذكر أرقي وأكمل من جنس الأنثى ، ولأنّ المرأة هي التي جُبِلَتْ من ضلع الرجل ، لا العكس ! وقد دأب الناس على أن يأخذوا بهذا الرأي ، حتى أن أيّ شك يُثار حول رجولة فرد ، كان كافياً لأن يثور له ذلك الفرد ، باعتبار أنه إهانة عظيمة لا تُغتفر ! وليس من شكّ في أن قصّة الخَلْق — كما وردت في التوراة — كانت عاملاً من العوامل التي أدّت إلى اعتبار الرجل أرقى من المرأة ، كما يظهر من استشهاد القدّيس بولس بها ، في معرض المفاضلة بين الرجل والمرأة (١)

ولكن البحوث العلمية التي قام بها علماء « الجنس » والتجارب المنوّعة التي قاموا بإجرائها ، تدلّنا على أن الأدنى إلى الصواب أن تكون الأنثى هي الأصل الذي اشتُقّ منه الذكر . فالمرأة هي « الصورة الأولى » للنوع الإنساني ، والرجل إنما هو « الصورة الثانية » التي تفرّعت من ذلك الأصل ، ومعنى هذا أن الذكر ينطوي في أثنائه على أنثى كامنة ، هي الجنس الأصليُّ الذي تنزع إليه كلُّ الثدّييات(١) . وهذه الأنثى الكامنة هي على استعداد لأن تظهر بشكل واضح ، حينما تُستأصل تلك الغدد الزائدة التي تعوق ظهورها — فليست الفروق الجنسية بين الذكر والأنثى إذن ، فروقاً جوهرية أصلية ، بل هي فروق فرعية مستجدة . وبعبارة أخرى يمكن أن يُقال إن التركيب الجنسي لأفراد كل فصيلة ، له أساس مشترك يحتمل التذكير والتأنيث ، وهذا ما يعبّر عنه بالإمكانية الجنسية المتعادلة équipotentialité sexuelle .

من هذه الحقيقة البيولوجية ، يتبين لنا خطأ النظرة القديمة إلى الجنس . فليس الذكر والأنثى وَحْدتين مستقلتين تقوم كل منهما بذاتها ، وإنما هما حالتان متماسّتان ، قد يبلغ بهما التقارب أن يندمجا معاً ليكوّنا حالة مختلطة هي ما يعرف بالخُنثى Hermaphrodite فليس في استطاعتنا أن نتحدث عن « النوع المذكّر » Male type ، و « النوع المؤنّث » Female type ، بل عن تلك السلسلة الطويلة من الحالات الجنسية التي تمتدّ ابتداءً من الخنثى حتى تلك الأشكال المعتدلة التي تكاد تكون سويّةً طبيعية(٢) .

هذه هي النظرة الصحيحة إلى الجنس ، وهي نظرة تساعدنا على أن نفهم تلك الحالات الكثيرة التي طالما نظر إليها الناس على أنها انحرافات غريبة أو حالات شاذة ، مثل حالة « التخنث » وحالة « حبّ الجنس للجنس » : Homosexuality . ذلك أن التجارب قد دلتنا على أنه ليس من الحق أن هناك رجولة خالصة أو أنوثة خالصة . فإذا لم يكن في استطاعة أحد أن يفخر بأنه رجل كامل الرجولة فأي حق يكون لنا إذا حكمنا بالغرابة والشذوذ على قوم بلغت درجة الرجولة عندهم حدًّا أدنى بقليل مما يوجد لدينا ؟ إن كل ما هنالك هو أن هؤلاء القوم قد أخذوا من الجنس الآخر قسطاً أكبر مما لدينا ، فلذلك ظهرت حالة « الاختلاط » عندهم بشكل أوضح . والتجارب قد دلتنا على أن التميز الجنسي

(١) يقول القديس بولس في رسالته إلى تلميذه تيموثاوس : « لأن آدم جبل أولا ثم حواء ؛ وآدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت فوقعت في التعدي » . ويقول أيضاً في رسالته إلى أهل كورنثوس : « .. إن الرجل لم يؤخذ من المرأة ، بل المرأة هي التي أخذت من الرجل . والرجل لم يخلق من أجل المرأة ، بل المرأة هي التي خلقت من أجل الرجل »

(١) ارجع إلى الفصل الثاني من كتاب « فسيولوجية الجنس » لكنث وولكر ص ٢٨ .

(٢) هذه نظرة مارانيون Maranon إلى الجنس ، وهو يبسطها بوضوح في كتابه القيم : « تطور الجنس » .

التامّ، يكاد يكون معدوماً . فالرجل الخالص ، والمرأة الخالصة ، هما حالتان قلما يلتقي بهما المرء في الظروف العادية — كما يقول بيدل Biedel — وإذن فإن كل ما يميزنا عن أولئك الذين نعدهم شاذين منحرفين ، هو أن الإفرازات الهرمونية الموجودة لدينا أكثر مما يوجد لديهم . وقد كنا جميعاً في البداية ، ذوي نزعة جنسية إلى نفس الجنس بالقوة Potential homosexuals ، ولكننا لحسن الحظ قد تحولنا إلى الطريق الصحيح ، بافتراقنا عنهم وأصبحنا أميز من حيث الذكورة .

يتبين لنا من هذه النظرة الجديدة إلى الجنس أن الناس يخطئون إذ يعمّمون أحكامهم ، فيقولون بوجود فروق جنسية كبيرة بين الرجل والمرأة ، وبخاصة حول موقف كل منهما من الزواج والحياة الجنسية . فليس الرجل والمرأة كالقطب الموجب والقطب السالب ، وإنما الصلة بينهما أبعد ما تكون عن هذا التصور الساذج البسيط . وعلى الرغم من أن الخلط بين « الإيجاب » والذكورة ، وبين « السلب » والأنوثة ، قد يبدو لنا حقيقة بيولوجية ، فإن الواقع أنه خَلْطٌ لا أساس له — كما بين ذلك فرويد —[1] . وحتى في الناحية الجنسية الخالصة ، فإننا لا نستطيع أن نقول إن موقف المرأة موقف سلبيٌّ خالص .

أما تلك التعميمات التي قد نضطر إليها لبيان بعض الفروق الموجودة بين الجنسين ، فإنها قد تضللنا إذا اعتبرنا تلك الفروق عامة على الإطلاق . حقا إن تلك الصفات التي ننسبها إلى كل من الجنسين ، قد تكون صحيحة بالنسبة إلى الأفراد الذين يشغلون أعلى السلّم أو أسفله[2] ، أعني بالنسبة إلى الرجل الحقيقي والمرأة الحقيقية (وهذان قلما يوجدان) ، ولكنها تقل شيئا فشيئا حينما نقترب من الرجل المتأنث والمرأة المتذكرة (أو المترجّلة) . فإذا كنا قد فرقنا بين الرجل والمرأة (في البحث السابق) من بعض النواحي الجنسية والنفسية ، فإن من الواجب أن نذكر القارىء هنا أن هذه التفرقة ليست عامة مطلقة ، وإنما هي تطبق في دائرة محدودة فقط ؛ وثمّ أفرادٌ كثيرون لا تصح بالنسبة إليهم .

وإذا كانت هذه هي حقيقة الصلة بين الرجل والمرأة ، فما أحرانا بأن نبتسم حينما نلتقي بأولئك الذين يفخرون برجولتهم ، متناسين أن هناك « امرأة » تكمن في قرارة نفوسهم ! « حقاً إن هؤلاء قد لا تكون بيوتهم كلها مصنوعة من الزجاج ، ولكنهم مع ذلك ينسون أن نوافذ بيوتهم مصنوعة من الزجاج ، فما يليق بهم أن يقذفوا الآخرين بالأحجار ! »[1] .

لقد دنت الشقة بين الرجل والمرأة ؟ فكيف بها بين الرجل والرجل؟ إن الرجولة الخالصة قد أصبحت أسطورة من الأساطير ، فلنترك لأولئك الواهمين تلك الأسطورة الرائعة ، أسطورة الرجولة المزعومة ! أما نحن فحسبنا أن نكون « إنسانيين » ، ننظر إلى الرجل على أنه إنسان ، وننظر إلى « المرأة » على أنها إنسان ، ونعتبر أن جوهر الإنسانية واحدٌ في كل منهما ؟

زكريا ابراهيم

(١) S. Freud : "Instincts and their Vicissitudes", 1915 .

(٢) هذا باعتبار أن الحالات الجنسية تكون سلما échelle له درجات متتالية

(١) المقصود بهذه العبارة أن حظ الناس من الرجولة يختلف قوة وضعفاً ، ولكن جانب الأنوثة الكامنة موجود في كلتا الحالتين . فليس هناك معنى لأن نتهم الآخرين بنقص الرجولة ، ما دامت الرجولة الكاملة معدومة . . .

١٠ـ القضايا الكبرى فى الإسلام

قضـــــية فدك

للأســـتاذ عبد المتعال الصعيدى

تمتاز قضية فَدَك على سائر القضايا الإسلامية بتدخل السياسة فيها ، وما دخلت السياسة فى أمر من الأمور إلا جعلته عرضة للاضطراب والتقلب . ولو أن السلطة القضائية انفردت بالحكم فى هذه القضية لكان لحكمها فيها قداسته واستقراره ، ولم تقع فيه تلك التقلبات التى استمرت حوالى قرنين من الزمان

وفدك بلدة بينها وبين المدينة ثلاث مراحل ، وكان أهلها من اليهود ، فلما فتحت خيبر أرسل أهل فدك يطلبون من النبى صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يتركوا بلادهم ويرحلوا ففعل ، وبهذا كانت فدك خاصة للنبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكان ينفق منها ويأكل ، ويعود على فقراء بنى هاشم ، ويزوج أيِّمهم ، وينفق على أبناء السبيل ونحوهم

وكان للنبى صلى الله عليه وسلم غير فدك سهمه من خيبر ، وصدقته بالمدينة ، فأما سهمه من خيبر ؛ فإنه كان قد قسمه نصفين : نصفها لنوائبه وحاجته ، ونصفها بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً . وأما صدقته بالمدينة فقيل إنها كانت نخل بنى النضير ، أفاءها الله على رسوله فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقى منها له هذه الصدقة . وقيل إنها كانت أموال مخيريق من يهود بنى قينقاع ، وكان نازلاً ببنى النضير . وقد شهد أُحُداً مع النبى صلى الله عليه وسلم . وقال : إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراه الله

فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم وتولى بعده أبو بكر رضى الله عنه ، أتته فاطمة رضى الله عنها فقالت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لى فدك فأعطنى إياها ، وشهد لها على بن أبى طالب ، فسألها شاهداً آخر ، فشهدت لها أم أيمن . فقال لها أبو بكر : قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا تجوز الإشهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، وقيل إنها قالت لأبى بكر : أعطنى فدك ؛ فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لى . فسألها البينة ، فجاءت بأم أيمن ورباح مولى النبى صلى الله عليه فشهدا لها بذلك ، فقال لها : إن هذا الأمر لا تجوز فيه الإشهادة رجل وامرأتين . ولا يقتصر الاضطراب فى هذه القضية على هاتين الروايتين ، فقد روى أيضاً أن فاطمة سألت أباها أن يهب لها فدك فأبى

وهناك روايات أخرى تؤيد الرواية الثالثة ، وتجعل قضية فدك قضية ميراث لا قضية هبة ، فقد روى البخارى أن فاطمة والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ، ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمد من هذا المال ، ثم قال : والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته . فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت

وروى البلاذرى أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتت أبا بكر فقالت له : من يرثك إذا مت ؟ فقال : ولدى وأهلى . فقالت : فما بالك ورثت رسول الله صلى الله عليه وسلم دوننا ؟ فقال : يابنت رسول الله ، والله ما ورثت أباك ذهباً ولا فضة ولا كذا ولا كذا . فقالت : سهمنا بخيبر ، وصدقتنا فدك ، فقال . يا بنت رسول الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنما هى طعمة أطعمنيها الله حياتى ، فإذا مت فهى بين المسلمين ، وروى البلاذرى أيضاً أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أرسلن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه مواريثهن من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك ، فقالت لهن عائشة : أما تتقين الله ، أما سمعتن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما هذا المال لآل محمد ، لنائبتهم وضيفهم ، فإذا مت فهو إلى ولى الأمر بعدى . فأمسكن عن طلب ذلك منه . وقد مضى الأمر على هذا مدة ولاية أبى بكر ، ولم يسلم له حكمه فى ذلك إلا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم . أما فاطمة وزوجها على وعمه العباس فلم يسلموا له هذا الحكم

وتمسكوا بحقهم فى ذلك الإرث . ولا شىء فى أن تغضب فاطمة مع احتجاج أبى بكر بذلك الحديث السابق ، وهى أولى الناس بالخضوع لحديث أبيها ، فلعلها قام بنفسها أنها كانت أولى الناس بمعرفة هذا الحديث ، لأنها صاحبة الحق فى الإرث ، ولم يكن هناك ما يمنعها أن تسمعه كما سمعه أبو بكر . وقد قالوا فى تسويغ ذلك إنها كانت تعتقد تأويل الحديث على خلاف ما تمسك به أبو بكر ، وكأنها اعتقدت تخصيص العموم فى قوله صلى الله عليه وسلم — لا نورث — ورأت أن منافع ما خلفه من أرض وعقار لا يمتنع أن يورث عنه . وروى بعضهم أن أبا بكر عاد فاطمة فى مرضها ، فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك . قالت : أتحب أن آذن له ؟ قال : نعم . فأذنت له فدخل عليها فترضاها حتى رضيت ، ولكنها رواية مرسلة لا تقوى على معارضة ما سبق من أنها ماتت وهى مغاضبة له

وقالوا أيضاً فى حكمة أن الأنبياء لا يورثون : إن الله بعثهم مبلغين رسالته ، وأمرهم ألا يأخذوا على ذلك أجراً ، كما قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً) وقال نوح وهود وغيرهما نحو ذلك ، فكانت الحكمة فى ألا يورثوا لئلا يظن أنهم جمعوا المال لوارثهم

ومن الشيعة من يروى الحديث بنصب — صدقة — على أنه حال ، فلا يفيد نفى إرثه صلى الله عليه وسلم على الإطلاق ، وقد رد عليهم بأن أبا بكر احتج بهذا الحديث على فاطمة فيما التمست منه مما خلفه النبى صلى الله عليه وسلم من الأراضى ؛ وهما من أفصح الفصحاء وأعلمهم بمدلولات الألفاظ ، ولو كان أمر هذا الحديث كما ذكره بعض الشيعة لم يكن فيما احتج به أبو بكر حجة ، ولم يكن جوابه مطابقاً لسؤالها ، ومما يؤيد أنه بالرفع ما ورد فى بعض طرقه — ما تركنا فهو صدقة — ولاشك أن هذا ليس بقاطع فى رد ما ذكره بعض الشيعة ، لأن فاطمة لم تقتنع باحتجاج أبى بكر ، فيجوز أن يكون قد فهم الحديث كما يفهمه أهل السنة على أنه بالرفع ، ويجوز أن تكون قد فهمت الحديث كما يفهمه الشيعة على أنه بالنصب ، وأما رواية ما تركنا فهو صدقة فيجوز أن تكون مروية بالمعنى ممن فهم الحديث كما يفهمه أهل السنة

وهنا أمر لم يتنبه إليه أحد فى هذه القضية ، وهو فى الحقيقة السبب فى أن فاطمة لم تخضع لحكم أبى بكر ، وفى أن ورثتها من بعدها لم يخضعوا له أيضاً ، وهذا الأمر هو أن أبا بكر فى هذه القضية كان خصماً وحكماً ، والخصم فى قضية من القضايا لا يصح أن يكون حكماً فيها ، وكان الواجب أن تعرض هذه القضية على بعض كبار الصحابة ليحكم فيها بين أبى بكر وفاطمة ، نزولاً على ما هو الواجب من الفصل بين السلطتين ، حتى يكون حكم القضاء نافذاً فى الحاكم والمحكوم ، ولا يكون لأحد وجه فى أن يقف منه هذا الموقف الذى كان من فاطمة وورثتها من بعدها

وقد مكثت هذه القضية على هذا الوضع مدة خلافة أبى بكر وسنتين من خلافة عمر ، ثم أتى على والعباس عمر فطلب منه على نصيب امرأته من أبيها ، وطلب منه العباس نصيبه من ابن أخيه ، فدفع عمر إليهما صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وأمسك خيبر وفدك ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانتا لحقوقه التى تعروه ونوائبه ، وأمرهما إلى من ولى الأمر . وقد أخذ عمر عليهما عهد الله وميثاقه ليعملان فى الصدقة التى دفعها إليهما بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما عمل فيها أبو بكر ، وبما عمل هو فيها إلى أن دفعها إليهما ، فكانا بذلك نائبين عنه فى النظر عليها . وقد اختلف على والعباس بعد ذلك فيها ، فأتيا عمر وطلبا منه أن يقسمها بينهما ، فأبى أن يقضى فيها بغير ما قضى به ، وطلب منهما أن يدفعاها إليه إن عجزا عنها

ولكن علياً غلب العباس بعد ذلك على هذه الصدقة ، ثم كانت بعده بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد على بن الحسين والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، ثم كانت بيد عبد الله بن حسن ، ثم ولى بنو العباس فقبضوها ، وغلبوا أبناء على عليها ، وكان من يتولى منهم يولى عليها من قبله من يقبضها ويفرقها فى أهل الحاجة من أهل المدينة ، ومكث الأمر فيها على ذلك إلى رأس المائتين من الهجرة ، ثم تغيرت الأمور فيها بعد ذلك ، وزالت الأوضاع فيها عما كانت عليه إلى ذلك العهد

وأما سهم النبى صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك فقد

مكث بيد أبي بكر وعمر مدة خلافتهما ، وكانا يقدمان منه نفقة نساء النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها مما كان يصرف منه ، وما فضل بعد ذلك يجعلانه في المصالح ، ثم اختلف في أمره بعدهما ، فقيل إن عثمان بن عفان أقطع فدك مروان بن الحكم ، لأنه رأى أن الذي يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عن فدك بأمواله ووصل بها مروان بن الحكم : وقيل إن الذي أقطعها مروان بن الحكم معاوية بن أبي سفيان ، فوهبها مروان لابنيه عبد العزيز وعبد الملك ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز وللوليد وسليمان بن عبد الملك ، فلما ولى الوليد سأله عمر حصته منها فوهبها له ، ثم سأل سليمان حصته منها فوهبها له أيضاً ، فاستجمعها كلها في يده ، وكانت أحب أمواله إليه . فلما ولى الأمر بعد سليمان جمع بني مروان فأشهدهم على أنه ردها إلى ما كانت عليه مدة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين

فلما كانت سنة عشر ومائتين أمر المأمون بدفعها إلى ولد فاطمة رضي الله عنها ، وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله ، وخلافة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والقرابة به ، أولى من استن سنته ، ونفذ أمره ، وسلم لمن منحه منحة وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته ، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدك ، وتصدق بها عليها ، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً ، لا اختلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل تدعى منه ما هو أولى به من صدق عليه ، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم ، تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدله ، وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أمره وصدقته ، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه ، والكتاب به إلى عماله ، فلقد كان ينادي في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عِدَة ذلك ، فيقبل قوله وينفذ عدته ، إن فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها ، وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك ، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها ، فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ، وما ألهمه الله من طاعته ، ووفقه له من التقرب إليه ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأعلمه من قِبَلك ، وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري ، وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ووفور غلاتها إن شاء الله ، والسلام – وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة عشر ومائتين

وقد مكثت فدك بعد هذا لآل فاطمة إلى أن ولى المتوكل على الله ، وكان يعادي آل فاطمة عداء شديداً ، فأمر برد فدك إلى ما كانت عليه قبل المأمون .

عبد المتعال الصعيدي

وحـــدة الوجود

للبروفيسور ج ٠ ١٠ بورد
بقلم الأستاذ عثمان حلمي

لكي نقترب من قضية العلم الحديثة الخاصة بنظام الكون يجدر بنا أن نرجع إلى أولئك المخترعين العظام الذين ألمّوا بعلم الميكانيكا أمثال جاليلو وديسكارت ونيوتون ، وعلى الأخص « نيوتون » أعظمهم جميعاً .

هؤلاء المفكرون لم يكونوا ضيق الأفق في تفكيرهم ، ولا كانوا محدودي التفكير (كأولئك الذين لم يخرجوا عن دائرتهم المحدودة ، فلم يصلوا بسبب بين فلسفتهم وعلمهم وبين دينهم) . ذلك أنهم واجهوا هذه المسألة كاملة واشتغلوا (بالتدين الطبيعي) فكانوا بذلك رجالاً كاملين في تفكيرهم ، بينما كان أتباعهم انصافاً . فلو أنهم لزمهم ذكر الخالق ومواجهة حقيقته ، لفهم الطبيعة وإدراك أسرارها ، فإنهم لا يحجمون عن ذكره في علومهم .

لقد قيل : إن بحث نيوتون فيما وراء الطبيعة كان غير ناضج ومبايناً لما هو معهود في طبيعة علمه . والحقيقة أن نيوتون لم يكن فيلسوفاً — بمعنى الكلمة — ولكن تقاليد الفلسفة الأفلاطونية للعصور الوسطى التي جاراها في كامبردج في أيامه ، هي قريبة للعبقرية العلمية أكثر منها للفلسفة السفسطائية التي تلت نيوتون .

لقد كان في وسع هذه التقاليد أن تعترف بميلاد العلم الحديث والإدراك الميكانيكي والرياضي الذي ساق أمامه آياته القابلة للتصديق مع علاقته بهذه التقاليد .

إن الدنيا في نظر نيوتون غير مفهومة المغزى بغير وجود « الله » ، وعلى ذلك ، فإنه لا يحجم عن ذكر الله في طبيعياته وفلكه ، وهو يوضح لنا فكرته في الله من الصفات التي يصفه بها : كالأبدية ، والأزلية ، والقدرة على كل شيء ، والعلم بكل شيء ... وهي صفات مستعارة من علم اللاهوت في العصور الوسطى ، غير أن القدرة على كل شيء من وجهة نظر نيوتون لها معناها الطبيعي المادي ، كما لها معناها الروحي .

(هو قادر على كل شيء ، ليس نظرياً فقط . ولكن مادياً أيضاً ، لأن الفاعلية لا تعيش في رأيه ولا تستمر بغير المادية ، فنه — كما يقول نيوتون — تتكون كل الأشياء وتتحرك ، ومع ذلك فهي لا تؤثر فيه ، وهو لا يؤوده شيء من حركة الأجسام ، كما أن الأجسام لا تقوى على مقاومة قدرته على كل شيء) .

وبذلك فإن وجود الله الأكبر ضروري ، ويمثل هذه الضرورة هو موجود أبداً وفي كل مكان ، فهو يرى ، لا كما نرى ، ويسمع ، لا كما نسمع ، ويعقل ، لا كما نعقل ، ويريد ، لا كما نريد ، أي بحال ليست بالمرة كحال الإنسان ، بل بحال يعجز العقل البشري عن إدراك كنهها .

إن المرء ليعجب إذن كيف يمكن وصف الله (في الدراسات الفلسفية) ، ولكن فهم نيوتون الحقيقي لله هو قريب الشبه من طبيعيات أفلاطون السابقة أكثر منها للتعاليم المدرسية اللاهوتية ، فهو يقول نفس ما قاله اكسينوفانس .

فنيوتون ليس أكثر من أنشتين ، لا يعتقد (في الحركة مع الحيز) ، فإن الجاذبية في نظر نيوتون ناشئة عن النواميس الرياضية ، أي أنها لا توجد في أصل الأجسام .

وفي نظر نيوتون ، كما هو في نظر أنشتين ، أن الحركة في الأجسام (الأفلاك والأجرام والكواكب) مثلاً يشترط فيها الحيز ، ولكن الحيز ليس هو الفضاء المجرد الذي ورد في العلم الحديث .

فلماذا إذن وجد نيوتون أنه من الضروري ذكر الله في العلم ، يوجد السبب العام وهو « حبه للجمال » هذا الجمال الذي أثر في أفلاطون بقوته فرآه في (البساطة والنظام) ، هذا الجمال الذي غمر الطبيعة فجعله يعجب بها أيما إعجاب ويجلها كل

الإجلال ، وقد كان ذلك أيضاً بالنسبة لنيوتون مضافاً إليه الأسباب الخاصة بما شاهده في تجاريبه الميكانيكية والرياضية ، فالنواميس الميكانيكية للطبيعة ليست كافية لحصر منشأ الدنيا ولا لحفظ توازنها ، ولو أن الكائن يحتاج في تكوينه بهذه القوانين إلى أحقاب عديدة ، فإن الأساس المادي هو « قوة الاستمرار » فالحركة تابعة للمادة إذا تحركت ، و « قوة الاستمرار » هي مبدأ سلبي بموجبه تثابر الأجسام على حركتها وإلا فإنها تقف لتستمد الحركة المناسبة لقوة الدفع لها فتقاوم بقدر ما تقاوم وبهذا المبدأ فقط لن تكون هناك حركة في العالم ، فقد تكون الأجسام في وضع ضروري لحركتها فينشأ وضع وهي في حركتها بعكس هذه الحركة ، ومن مختلف الوضعين في الحركتين يتضح أنه من المحتم وجود الكم من قوة الدفع في العالم » .

إذن هو يرى أن الحركة قد تكتسب أو تنعدم إذ يقول : ولكن بسبب تماسك الأجسام السائلة وميوعة أجزائها وضعف المرونة في الأجسام الصلبة فإن الحركة أكثر عرضة للفقد من الاكتساب وهي دائماً عرضة للاضمحلال والانحلال والتلاشي

هنا يقرر نيوتون بمفرده حقيقة التعويض الداخلي لمثل هذا الفقد ، فيظن أنه ربما كان ذلك آتيا من أرواح أثيرية ، فتتكاثف هذه الأرواح من الله إلى « مادة » وتسد النقص في الحركة ، وهنا باقي نيوتون ضوءاً على نظرية النشاط الإشعاعي وأنه قد يتحول إلى نشاط مادي ، وأن هذا الخلق وإعادة تجديده تأخذ محلا (في الله) الذي يصفه (بالقوة التي تعيش أبداً والتي توجد في كل مكان قادرة بإرادتها على أن تحرك الأجسام بوعيها الذي لا يحد ، وعلى ذلك فإنها تكوّن وتُعيد تكوين أجزاء الوجود بإرادة لا كما نعمل بإرادتنا في تحريك أجسامنا ، ومع كل هذا فإننا لا نستطيع أن نقول إن العالم كجسم لله أو أن أجزاءه المتعددة كأجزاء متعددة له .

(يتبع) عثمان حلمي

على هامش الشئون الخارجية

الرفق بإيطاليـــا

للأستاذ علي إسماعيل بك

تعرض الدكتور محمد عوض محمد في عدد « الثقافة » الصادر في ٣ أكتوبر إلى « الرفق بإيطاليا » بعد هزيمتها، وعزا ذلك الرفق إلى نبالة أخلاق البريطانيين وكرمها الذي يقضي عليهم أن يمدوا أيديهم إلى العدو المهزوم بعد صرعه، والأخذ بناصره بعد خذلانه. وتبسط في الحديث عن تلك النبالة وعن ذلك الكرم مبدياً أنهما كانا السبب في خلاف شديد ساد ردحاً من الزمن بين فرنسا وبريطانيا، حول معاملة ألمانيا بعد الحرب الماضية

وبعد أن دال الكاتب على عاطفة الرفق عند البريطانيين بما اشتهروا به من حب المجاوات التمس لنفسه الاغتفار والغفران من مقابلة الرفق بإيطاليا بالرفق بالحيوان !

أما أن العفو من شيم الكرام الأنجلوسكسونيين فأمر قد أجمع عليه الجميع حتى خصومهم، وتدلل عليه طبائع الأفراد في بلادهم: فما دخل البريطاني ملاكمة وانتصر فيها على خصمه إلا كان أول واجباته مصافحة ذلك الخصم بعد أن قيض الله له النصر

وما نازل غريماً في معركة انتخابية إلا نازله بأسلحة مشروعة لا غبار على استخدامها أمام الرأي العام؛ فإذا انتهت المعركة بادر لغريمه المخذول يتمم في حياء كبير قائلاً « آسف أنني انتصرت لأنك قمت بتصيب أكبر من الجهد، أو « هو ذا الحظ الذي ساعدني على النصر » وما إلى ذلك من عبارات المجاملة التي تنم عن روح مرهفة الحس وشعور عريق في السراوة « الجنتلمنة » ، وعواطف فياضة بالمدنية

ألا فليعلم حضرة الكاتب أنه مع الاعتراف الصادق بتلك الناحية من الخلق الأنجلوسكسوني، أقول ألا فليعلم أن الشئون الخارجية وعلاقات الدول بعضها ببعض لا تقوم على شيء من هذا الذي ذكر بل قوامها قبل كل شيء ذلك الأساس الصخري الراسخ ما رسخت الأرض من المصلحة الذاتية وحدها دون مصلحة الغير

فهذا الرفق يدعو إلى كبير الأسف كما سترى

لقد دخلت إيطاليا هذه الحرب بفعل رجل واحد — هذا لا شك فيه — ومهما يكن من عيوب ذلك الرجل فقد كان له فكر ثاقب في تفهم سياسة بلاده الداخلية، ونظرة نافذة في وسائل الضرب على أيدي المهرجين فيها

ألا تذكر « جابرييلي دانونزيو » المشعوذ ورفقاءه الأردبتي يوم كانوا يحتلون « فيومى » دون أن يكون لهم أية علاقة بالسلطة العسكرية الشرعية في روما ؟

ألا تذكر « بومباتشي » ذا اللحية الفتة السوداء يوم كان يلوح بقبضته اليمنى على منصة الخطابة في « مونتيشيتوريو » مهدداً بإدخال الدولة الثالثة في أرض هي مهد الكلاسيكية ؟

ألا تذكر « كارلوسفورزا » سليل الأمراء إذ كان ينادي عبثاً بتوحيد الصفوف للذود عن حوض الديمقراطية فما لبى نداءه أحد ؟

أغمض الحلفاء إذ ذاك جفونهم لما كان يحدث في إيطاليا، وتركوا هذا وذاك يجر الحبل كل في اتجاه، بينما كانت أيد آثمة تعمل في الخفاء لقلب نظام الحكم : فمن إضرام النار في المسارح الشهيرة إلى إخراج القطر السريعة عن قضبانها، ومن إضراب غير مشروع في المعامل إلى إلقاء القنابل على برءاء في دور السينما، ومن حوادث قتل وفتك بأيد مجهولة، إلى حوادث إرهاب لا مبرر لها ! تلك كانت حال إيطاليا ! كوميديا إلهية ! جحيم دانتي ! جحيم دانتي الذي كتب على بابه « أولئك الذين يدخلون ألا فليطرحوا كل آمالهم طرحاً »(١)

أتلومن الحوادث أن تلد رجلاً بطاشاً يخرق الحجب الكثيفة التي تجهمت فوق سماء إيطاليا، ويفتح باب الجحيم الدانتية على مصراعيه، ويلقي فيها أصحاب تلك الأيدي الآثمة، الهدامة للنظام التي كانت تلعب في الخفاء وتبيت للأرض الكلاسيكية انقلاباً اجتماعياً لو أنه تم لقضى قضاء مبرماً على المعاهد الديمقراطية التي تغذي جيلنا بلبانها وتذوق حلاوتها وسكرها ؟

(١) Voi chi entrate lasciate ogni speranza

أتلومن رجلاً قويا : (وهل تشرشل ضعيف ؟ وهل روزفلت ضعيف ؟) أقول أتلومن رجلاً قوياً أن يخرج ذلك الشعب الفنان المحبب من ظلمة التخبط إلى نور الاتزان اللاتيني الوهاج ؟

لقد سار الرجل في برنامج داخلي أعاد إلى إيطاليا رونق العهد الكلاسيكي . سار سيراً حثيثاً ، موفقاً ، مذللاً الصعوبات بيد حديدية ، مقتحماً العقبات التي اعتورت طريقه بإرادة قيصرية لا تعرف الكلال

ولما أن رأى أن الإصلاح الداخلي وما إليه من مسكنات شهوته أصبح بعيداً عن أن يغذي طموح الجبار — وتلك هي خطيئته — أراد أن يطرق ميادين أخرى ، ميادين كنا نظن عيون الحلفاء بها ساهرة لا تعرف الغمض ولا النوم ؛ فأخذ يغري الشعب الإيطالي بأمان براقة — وما أغرى لمواطف الشعب من التلويح له بالأماني البراقة ولو كانت كاذبة ! فصال صولة وجال جولة ، وقال في صدد الحدود بين مصر وبرقة إلى وزير مصر المفوض « لن يُخَدش خطى قيد أنملة » "Ma Ligne ne sera pas égratignée"

الخطأ الأول في دبلوماسية ما بعد الحرب العالمية أنها لم تقتل الفاشية في بدايتها ، فقد كانوا يعرفون أن فضلات المائدة مهما كثرت بعيدة عن أن تغذي معدة كمعدة موسوليني . لقد كانت الفضلات على العكس بمثابة مشهيات عنيفة : فما طالب بطلب أو هدد بتهديد إلا وطائرة تحلق بين لندن وروما ، وروما ولندن — خروجا على التقليد البريطاني الراسخ — تحمل إلى نيرون أغصان الزيتون ! !

لماذا أحجمت الدول عن قتل أفعى تلك الشهية وهي في مهدها ؟ أكان هناك ما يبرر تنغيص العالم زهاء عشرين سنة بصراخ ذلك الطاغية وتركه يتمادى في هواه وإثمه إلى أن شهر السلاح في وجه بريطانيا التي كانت العامل الأول في استقلال بلاده ؟

ألمثل موسوليني يلوح بأغصان الزيتون ؟

ألمثل موسوليني يطير ماكدنالد ويطير شامبرلين ويطير إيدن كلما صال الرجل وجال ؟

لقد كانت الدبلوماسية البريطانية تعرف حق المعرفة أنه سيتمادى في مطالبه كلما أذعنت له ، وأنه إذا أعطى قيراطا عبس وتولى وطالب بقيراطين . فإذا أعطى القيراطان طالب بثلاثة فأكثر وهكذا ، فإذا سلمت الجغبوب اليوم ظن تسليمك ضعفاً وطالب بالحبشة فلحقاتها فلحقات اللحقات إلى ما شاء الله ، ذلك أن بعض العقليات الواطئة ترى في الكرم ضعفاً وفي الرفق خوفاً ورهبة .

لماذا لم تمير إذن الدول المتحالفة عن شعورها في حينه في حزم وفي صلابة ؟ لماذا تركت موسوليني يتمادى في مطالب لا يبررها التاريخ ولا تقرها حالة إيطاليا المادية والأدبية دون أن تقابل تماديه بتهديد يعززه الاستعداد لمقاومته بالقوة ؟

لقد دار الفلك دورته وانهزم الطاغية شر هزيمة وانهار صرح الإمبراطورية الإيطالية من أدناها إلى أقصاها وفقدت الصومال وأريتريا والحبشة وطرابلس وألبانيا وجثا أسطولها الشامخ يتلمس الرحمة من ذئاب البحر ورفع مليكها التاج عن رأس وخطها وخز الضمير شيباً ، وفتكت قنابل الحلفاء في حصونها فتكاً ذريعاً ، وخربت القلاع والمعاقل والموانى . فماذا بقي لإيطاليا بعد حدوث ما حدث ؟

الرفق !

الرفق ! كأننا لم نتعلم من دروس الماضي القريب !

فليرفق الدبلوماسيون بالمهزوم ما شاءوا ، دهاء منهم أو غير دهاء . أما نحن في مصر وقد أصبح لنا مقعد في الأسرة الدولية الكبرى فلا صالح لنا ألبتة أن نحيد عن المبدأ الواقعي الذي أشرت إليه في بدء هذا المقال : نريد أن يبنى مستقبل مصر الدولي على الصخر الراسخ . فليرفق إذن بإيطاليا ما شاء الدبلوماسيون ولكن بعيداً عن مصر وعن حدود مصر، بعيداً عن النيل وعن منبع النيل !

علي اسماعيل



كلمة أخيرة ...

للأستاذ سـيد قطب

لست أملك أن أتمادى فى الحديث مع الأستاذ صلاح ذهنى أكثر مما فعلت حتى الآن ، حيث لا موضوع للحديث غير الشتائم والسباب ، وإلا فهو الرابح ... لقد عجز بإنتاجه فى القصة أن يكون موضع حديث أحد فى صحيفة ، فنال ذلك الآن عن طريق الشتائم والسباب !

وإلا ففيم كلمته الأخيرة ؟

لقد أخذت عليه أن لهجة رده الأول كانت لهجة بذيئة ، وأن ما جاء فيها من بيانات كان مستطاعاً دون الاضطرار إلى هذه البذاءة ، صوناً لمستوى المناقشات الأدبية . فإذا هو فى كلته الثانية يهبط ويهبط ، حتى ليعز على كاتب يحترم قلمه أن يلاحقه .. لقد فشلتُ إذن فيما وجهته إليه أول مرة !

والمسائل التى أثارها ، فرددت عليها ، عاد يثيرها بالنص من جديد : توفيق الحكيم ليس كاتب قصة ، لأنه كاتب رواية ؛ والمازنى ليس كاتب قصة لأنه كاتب مقالة !

وعلى هذا النحو يسير ، فلا يجوز أن أتحدث عن قصص بودلير لأنه شاعر ، ولا عن قصائد لورنس لأنه قصاص وعلىّ أن ألغى إنتاجهما الآخر ، فلا أذكره ولا أسميه . وهكذا فشلت مرة أخرى فى أن أرد الأستاذ إلى الموضوع !

وقلت له : إن إنكارى للمدارس الأدبية مسألة لا تستحق المناقشة ، لأنها تردنا إلى سذاجة فى النقد ، وإلى فوضى لا تنتهى. فقال : إنى تركت الحديث فيها لجهلى بها ... ثم إذا هو يقول عن تيمور : إنه ذو نزعة واقعية ينتمى بها إلى موباسان ... لقد عدنا إذن إلى أن هناك عنوانات ترد إليها الأعمال الفنية . وكان قد أنكر ذلك وأثبته فى آن واحد فى مقاله الأول . فرأيت الحديث فيه عبثاً ، وقد اتضح أننى محق فيما رأيت ، فبعد مقالين ها نحن أولاء لا نزال حيث كنا من قبل !

بقيت أمور جديدة فى قائمة الشتائم :

إننى لا أعرف لغة أجنبية : وهـذا صحيح . ولعل منشأ كسلى عن تعلم لغة أجنبية هو أننى أرى الأستاذ صلاح وعشرات من أمثاله يعرفون لغة يتبجحون بمعرفتها ويلوكون مصطلحاتها ثم يكونون حيث هم ، وأكون حيث أنا . فأرى أن اللغـة — وإن كانت ضرورية — لا تخلق المعدومين ، ولا تعدم الموجودين !

وثانية الشتائم أننى لا أكتب إلا عن الكتب التى تهدى إلىّ ، ولذلك استهديته كتب تيمور . والأستاذ صلاح مسكين فى هذا الهبوط ، ثم مسكين . ولكن ما ذا يقول ، وقد أهدى إلىّ هو كتابه الأخير ، إهداء لا أدرى كيف أضع له الآن عنوانه فى سجل الأخلاق وهو : « إلى أخى الناقد البارع الأستاذ سيد قطب مع وافر التقدير » . ومع هذا فلم أكتب عنه شيئاً ، لأنى لم أجد أنه يستحق شيئاً ، فجاملته بالسكوت !

وليلاحظ أننى وقتها كنت « ناقداً بارعاً » وكنت الأستاذ فأما اليوم ، فأنا لا « ناقد » ، ولا « بارع » ، ولا « أستاذ » ، ولا يحزنون ... لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !

وثالثة الشتائم فى القائمة أننى ظل العقاد فى الظهيرة . فلأكرر هنا ما قلته من قبل للدكتور مندور : إننى أفهم المسائل على نحو غير الذى يفهمه بعض « شبان » الجيل . إننى لا أحاول إنكار تلمذتى للعقاد ، لأن لدىّ ما أقوله وما أبدعه وراء ذلك ، فلست أخشى على وجودى حين أعترف بهذه الأستاذية ، وهى حق ، فلا يسمح لى خلقى أن أنكرها أشد الإنكار ، وأن أبرأ منها كل البراءة ، كما كان الأستاذ صلاح يصنع ويتشنج حين يقال : إنه من تلاميذ تيمور !

* * *

وبعد ، فظل العقاد هذا يستطيع أن يكون « الناقد البارع » كما كنت عند الأستاذ صلاح فى ٢٣ أبريل الماضى ! وأن يكون « ناقد شعر فقط » كما أنا الآن عند الأستاذ صلاح أيضاً فى ١٢ أكتوبر الحالى . وأن أكون شاعراً كما يقول بعض الناس غير الأستاذ صلاح . فهل يستطيع أن يقول لى هو : ماذا يستطيع أن يكون ؟ لقد كنت أعنى ما أقول حين قلت له : إن إعزازى الشخصى له ، هو الذى يدعونى أن أناقشه ، وإلا فليس هنالك من محور أدبى نلتقى عنده ليستحق الحديث . وحتى هذا الإعزاز الشخصى قد عبث به ببذاءة التعبير ... تلك كلمة أخيرة ، لأن الشتائم فى متناول من يريد .

سيد قطب

القيثـارة المحطمة

للدكتور عزيز فهمي

نَسَجَتْ عليها العنكبوتُ شِعارَها
ورمى البِلى لمّا رمى أوتارَها
كانت عزاءك دون كُلِّ خليلةٍ
لهفى عليك وقد حُرِمْتَ حوارَها
كم قد شكوت لها تباريحَ الهوى في ليلة أرْخَتْ عليك ستارها
وشرحتَ آلامَ الجوى ولهيبَه فاستودعتك بدورها أسرارها
تتناجيان ولا سمير سواكما والنجم يهتك أو يلم خمارها
حتى إذا طَلَعَ الصباحُ طَرَحْتَها
وأَرَيْتَ أهدأَ ما تكون جوارها

وَقَفَتْ عليك حياتَها فأنينُها
بالشر عليك إذا قدحت أوارها
ونشيجُها لولا أساك كَشدْوِها
وأساك يلهبها ويُضْرِمُ نارها
عزافة الألحان تشدو طلقةً ما شئت حتى تستثيرَ قرارها
تحنو عليك حنانَ أمٍ بَرَّةٍ يفرى ويقلم طفلُها أظفارها
لا تقتضيك على الوفاء بديلَه
وتَظَلُّ طَوْعَك ليلَها ونهارها
لولاك ما نَطَقَتْ بآمٍ حَرَّةٍ يوماً ولاشقَّ الحنينُ إطارها

ماتت عروسُ الشعرِ فوق شفاهها
والقوس يعزف راوياً أشعارها
وحكى الصدى ألحانَها فتجاوبت
حيناً وأذهل صمتُها سُمّارها
غَنَّيْتَهم زمناً فَهَتّوم نائمٌ وأشاح عنك فعاودتْ إصرارها
وحبست عنهم لحنَها فتلفتوا لما زجرتَ عيونَها وهزارها
وصبَبْتَ عنهم كأسها فتذوقوا خمراً سواها واستسغت عقارها
فصدفت عنهم يائساً مترفعا
وغنيتَ عنهم واحْتَمَلْتَ إسارها
كانت عزاءك دونهم خَفَرْتَها
وبقيتَ وحدك حافظاً تَذْكارَها
حَمَلَتْ همومَك عنك دهراً فاحتمل
فيها المصاب مُخلَّداً أخبارها

من شعر الأطفال :

القلم يقول عن نفسه ...

الأستاذ على متولى صلاح

إننى شىءٌ صغيرٌ فى يديكم كل آنٍ
ليس جسمى بكبيرٍ غير أنى ذو مكان
كلكم يعلم فضلى كلكم يعرف شانى
أنا عند الطفل والأسـ ـتاذ فى كل زمان
يفخر الناس بحملى فأنا زين البنان ...

صرخة اليـأس

لشارل بودلير

[لا تقل ما أجملها بل قل ما أجمل الشعر فيها]

جميلة أنت فى عينىَّ يا جانى(١) ياصرخة العار فى شكى وإيمانى
أقبلت فى قوة كالشر يحفزه ضعف النفوس فوا لهفى أنا الجانى
صببت قلبك فى قلبى فأحرقه حتى تبدى لهيباً دمعه القانى
ماذا بروحك من خمر ومن لهب وأنت من أنت يانيران أشجانى
صرعت قلبى وأنت اليوم كعبته ياجرة الخلد فى روحى ووجدانى
يطوف حولك نفح دافقُ عطر كما يطوف فراش حول نيران
ياصرخة العار يا كأساً مرنحة لعينة أنت فى يأسى وخذلانى

أعيش فى ظلك المسحور مرتجفاً كأنى عابد أستاف إلهامى
أنا السجين بأغلال عبدت بها قيد الجمال وإن أودت بأنغامى
أنا الطعين بسكين شربت بها خمر الهلاك وأنت الخنجر الدامى

ناشدت قلبى سلواً عنك فارتجفت
فيها الحياة ودوّى صوتها الحانى
ورحت للخنجر القتال أرفعه فغازل النصل عينى وهو ينهانى
ورحت للموت أسقيه وأنشده لحن الفناء فلم يهتف بألحانى
قالت لى الكأس لو ضاعت حقيقتها
لعشت فيها وكنت الهادم البانى
أواه مما ألاقى اليوم من عنت وآه مما مضى فى أمسىَ الفانى

عبد القادر محمود

(١) جان ديفال



نظرية الفصل وماذا يريد القائلون بها ؟!

لا أريد بهذا المقال أن ألتقى مع المتلاحمين فى معركة « وحدة الوجود » فحسب هذا الميدان من فيه ، وما أنا محاول كذلك فتح « جبهة ثانية » بعد أن انسحب الدكتور زكى محتمياً بما قاله عن ظروف حرية الرأى فى مصر ، وهو احتماء غير كريم ...

إنما هى كلمة هادئة إلى هؤلاء الذين نادوا وينادون بنظرية عجيبة ، يذوبون هياماً بإشاعتها ، ويلبسونها قفازاً فى أيديهم ، يلفون به فى كل معركة ، عند ما يعوزهم الدليل والبرهان ...

ففصل العلم عن الدين غرام أنهك داؤه قلوب قوم أولعوا به ، إذ وجدوا فيه رفعاً لالتزامات ، لا تستطيع أعصابهم احتمال الوقوف عند سدها القائم لصد النزوات ، ورد الهفوات — هذا الميزان العلمى ، لضبط الفضيلة العلمية ، ووقاية العقل من الشطط ، وتحرير الحقيقة ...

وقد كان لهذه النظرية والقول بها مذاق فى أفواه الأقدمين ، حين كانت الأديان طقوساً منعزلة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية والثقافية ، وكل ما له صلة بحياة الناس العملية الواقعية وإن مستها فإنما تمسها وتتصل بها اتصالاً رفيقاً لا يدخل فى صميم نظمها وتنظيمها ، ووضع أسسها ، وتفصيل برامجها ، والإفتاء فى كل ما له صلة بها بكل جلاء ووضوح . . !

كان لهذه النظرية مكان فى هذا الماضى التاريخى ، حين كانت الأديان على نحو ما ذكرنا ، وحين كانت تعنى بالمسائل الروحية التعبدية فى مجموع ما فيها من وسائل ، وقد يسوغ أيضاً أن يبقى هذا المكان أو أن يمتد هذا التاريخ فى غير بلاد الشرق المسلمة ، وفى غير مصر الإسلامية ، بعد أن جاء الإسلام منذ ١٣٦٣ سنة نظاماً عاماً ، شاملاً كاملاً ، تناول الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية ، ونظم شئون الناس جميعها ، معنياً بالروح ، عنايته بالجسم والعقل ، وعنايته بكل النواحى الإنسانية الأخرى ، بما لا يدع مجالاً لمنكر أو طالب حقيقة ، وآيات القرآن ناطقة بهذه الحقائق ، وسنوفيها حقها فى موضعها من الكلام

فما بالنا إذن نبعد عن فهم حقيقة الإسلام ، ونحصره فى زاوية ضيقة محدودة من آفاق الحياة ؟ ! إنها ليست دعوى تعصب ، ولكنها الحقيقة يؤيدها التاريخ والواقع

فعلى القائلين بنظرية الفصل أن يتريثوا ، وأن يترفقوا بتاريخهم ، ويتبصروا مقدلوما فى هذا الخطأ الشائع من جناية على الحياة العقلية الشرقية ، والحقائق الإنسانية

كنا نريد أن يكون المتزعمون للحركة الفكرية عندنا قوميين أحراراً ، يصدرون فى آرائهم عن باعث القومية الحرة ، ونقول القوميــة الحرة ، حتى يكون رأياً بعيداً عن التحيز أو التعصب ، وبعيداً كذلك عن الانغماس فى الفكرة الغربية . بهالك المستسلم الذى نسى نفسه وجهل تاريخه وماضيه فذهب حاضره ومستقبله هباء

يا قوم ... إننا أمة ذات مجد وذات تاريخ ، فأين نحن فى حاضرنا من مكاننا المرموق ؟ ! إننا لا ندعوكم إلى تعصب فى العلم أو تعسف فيه ، ولا نطالبكم بتزييف التاريخ أو المغالاة فيه ، ولكننا ننبه إلى تفهم الحقائق التى بين أيديكم ، والسيطرة على مفاخر الكنوز من تاريخكم ، وهى كلمة أولى إن اتسع لها صدر الرسالة ، وما نظنه ضائقاً ، فستتبعها بالكلمة المقصودة من المقال وهى بيان كيف أن الإسلام جاء نظاماً شاملاً كاملاً تناول كل مظاهر الحياة وعناصرها ، وكيف أنه لم يفرق ولم يفصل بين أية ناحية من نواحيها ، بل جعل منها جميعاً مزاجاً واحداً متماسكاً ، أقام عليه أسس الحضارة الإنسانية الفاضلة ، التى سعد فى ظلها الناس جميعاً — ثم نعرض لموقفه من العلم — والعلم التجريبى خاصة

وموعدنا بهذا كله عدد آت إن تفضلت الرسالة الغراء .

احمد ... الحماحى

إلى أستاذى الشبيشى

تفضلتم بتنبيهى إلى صحة كلمة « الرُّبِى » فى بيت « شوقى » لأن أصلها الرُّبِىّ . وتسهيلها جائز . فأشكر لكم هذا التنبيه . وأذكر أنها وردت فى مقالى فى مجال تقدى لكثرة الاضطرار إلى التسهيل والترخيم . . الخ مما لا يضطر إليه إلا المبتدئون . تلميذكم

سيد قطب

إلى سعادة عبد العزيز فهمي باشا

إذا وجد في الأمة مكابر واحد ينكر عليك أنك كنت المحامي الأول والقاضي النزيه الأول، فقد لا يوجد فيها من يجرؤ على إنكار أنك كنت ثالث رجلين حملوا كلمة مصر يجابهون بها مغتصب حقها ومستعبد أهلها يطالبونه بالاستقلال.

وليس بين عقلاء مصر من لم يكبر فيك تجنبك دعاجوجية زعامة الشعب وتهويشها

كان كل موقف من مواقفك هـذه خليقاً بأن يرفعك إلى مصاف العظماء، وكان الأخلق بها متجمعة أن تسير بك في سبل المجد الخالد، ولـكن أبت همتك الشماء إلا توقل مرتفعات المجد وبلوغ قمة الخلود

لقد أصبحت من الخالدين، لا يوم اصطفوك، لأن تكون في زمرة أعضاء المجمع الخالدين، بل يوم طرحت على زملائك رجال المجمع اللغوي اقتراحك « الحروف اللاتينية لـكتابة العربية » فهذا الاقتراح في ذاته، بغض النظر عن خطئه وصوابه، بطريقة عرضـه، وبالأسلوب الذي صيغ فيـه، وبصدقك الصادق، وجرأتك العالية، وحججك الدامغة، قد نزع القناع الشفاف عن نفسية العبقري · هي عبقريتك الفريدة، فصرت في الخالدين.

حبيب الزحلاوي

إلى الأستاذ العقاد

تبارك الرزاق في تقسيم الأرزاق

أيها الأستاذ الـكبير. إن ذلك الرجل الذي رفع إصبعه إلى السماء وصاح :

« أأنت موجود ؟ أهـذا عدلٌ في قسمة الأرزاق » (في مقالك في الرسالة بعنوان « تبارك رزّاق البرية ») ، وأن أبا العلاء المعري الذي قال : « إذا كان لا يحظى ... فتزندقا » — وأن ابن الراوندي الذي قال : « كم عاقل ... العالم النحرير زنديقاً » — وغيرهم من الشعراء، وغير الشعراء ممن قالوا مثل هذا — إن هؤلاء يا أسـتاذ، يريدون أن يلقوا المسئولية في ظلم الحظوظ لهم على الرزاق أو على القضاء والقدر. وكأنهم في الوقت نفسه يتذمرون (وهم لا يدرون) أن يبرروا نظام المجتمع المسوف الغابن الجائر، وأن يبرئوا منظمي المجتمع من فساد نظامه

ليس المسئول عن ذلك الغبن في تقسيم الأرزاق، لا الرزّاق ولا القدر. بل المسؤول هو جنس الناس أنفسهم، الذين سـنوا قوانين مجتمعهم ناقصة وفاسدة وغير منصفة

إن تلك الألوف التي يبددها المسرفون ليست « بدل مفقود » كما تقول، وإلا جاز أن يكون « أتْـيَس » التيوس صاحب الملايين، لأن الذكاء النابغ يثمَّـن بالملايين. وإنما هي ثمن عدل بيع بخساً أو ثمن ظلم اشترى رخيصاً. فما كانت الألوف في زمن من الأزمان، أو مكان من الأمكنة تنال بالبله أو بالخساسة أو بالسخف أو بالـكسل المطلق. وإنمـا كان ولا يزال كل قرش يُنال بتعب في عمل معادل له. فإذا كان معك عشرات الألوف من الجنيهات فهناك ألوف من العمال حصلوها بتعب معادل لها، وإذا كان عندك مليون جنيه، فلا يعقل أنك بذلت تعباً يساوي مليون جنيه، فهي من جنى تعب غيرك

فأولئك الـكسالى والأخسّاء والبُله، الذين يملـكون الألوف والملايين لم يملـكوها بدل ذكاء فقدوه، ولا بدل نباهة أو عبقرية فقدوها، ولا بدل عمل كسلوا عنه. وإنما نالوها متجمعة من حاصل أتعاب الذين تعبوا في تحصيلها — وأنت تعلم ذلك جيداً. وتعلم أن ذلك ليس من قسمة الرزاق ولا من قضاء القدر. وإلا فلا جزاء للبشر لا خيراً ولا شراً إذ لا مسؤولية عليهم. إنما هو من فساد نظام البشر

والذين يتذمرون من عدم العدل في تقسيم الأرزاق يعزونه إلى عدم التساوي في المواهب والعقول والأخلاق، حيث لا مبر للتذمر أو الشكوى، لأن هـذا قضاء الرزاق ولا حيلة لهم فيه

وإذن ففساد نظام الـكون ليس « في تباين موازين الجزاء »

بل فى أن ذلك النظام يمنح من لا موهبة له ولا علم ولا ذكاء ولا عمل ويمنع الموهوب والذكى والعامل الصالح

على أن الفقرة التى ختم بها الأستاذ مقاله كفرت عن حملته على المتذمرين من عدم العدل فى قسمة الأرزاق .

نقولا الحداد

الدكتور زكى والشيخ الدجوى

فى بعض أعداد « الرسالة » الأخيرة ، افتخر الدكتور زكى أنه القائل « المجد كالمال ، فيه حرام وحلال » .

والذى نذكره أن الدكتور زكى نسب هذه القولة إلى أستاذه الشيخ يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء ، وقد كتب ذكر شيخه بهما فى بعض رسائله التى كان يرسلها فى صحيفة « السياسة » من مقامه فى باريس عام ١٩٣٠ .

وقال الدكتور يومئذ إن الشيخ الدجوى نصحه بهذه « الحكمة » إبان صدور كتابه « الأخلاق عند الغزالى » حين أخذ جماعة من الناس يساولونه ويناجزونه .

ولما كنا نعرف فى الدكتور الحقائق التاريخية ، فإننا نرجو أن يجلو لنا وجه الحقيقة حتى لا نقع فى الاضطراب بين الأقوال وأصحاب الأقوال !

(الرمل) منصور جاب الله

حول فرقة التمثيل

لو جرى النقد المسرحى على النمط الذى أرانا إياه الأستاذ حبيب زحلاوى فى العدد الفائت من هـذه المجلة ، لوجب علينا ألا نعبأ بالنقد وأن نطالب الهـداية لأصحابه ، وأن نعقد « الفصول والغايات » فى تبيان ماهية النقد وأصوله وأهدافه ! !

سقطت رواية (يوليوس قيصر) التى أخرجتها بوصفى مديراً فنياً للفرقة المصرية، ونجحت رواية (مرتفعات ويذرنج) وخرجها زميل لى ... والسبب فى هذا — كما يزعم الناقد — أننى قعدت عن توخى التجويد فى فنى بعد أن وصلت إلى أعلى مراتبه ، فى حين أن زميلى دائم التوفر على التحسين والاتقان . كذا ؟ ؟

بهذا جرى زعم الأستاذ زحلاوى ، وهو زعم له ما وراءه ، له أن يثير النفرة بينى وبين زميل لى فى الفن نجاهد معاً على تحقيق غرض واحد .

أما أن يعمد الناقد إلى تبيان كيف ولماذا لم تنجح الرواية الأولى ، ونجحت الثانية ، وأين مواطن الضعف فى هذه ، وأين مراتب التجويد فى تلك ، وما السبيل إلى تلافى وجوه النقص والوهن ، وكيف نزيد فى توخى الاتقان ، فكل هذا أمر مطوى فى سريرة الناقد لم يفصح عنه ، وأؤكد أنه لو قدر على الإفصاح عنه لما تردد ، لأننى أعهده متلمساً كل عيب يسهب ويفيض فى كل أمر يكتب فيه ! !

ولكننى أؤكد أن الأستاذ زحلاوى ، لا يقدر على هذا ، وإذا جرى قلمه بشىء منه ، فكما تجرى مطرقة الحداد فى يدى اليسرى .

أسائل الأستاذ زحلاوى ماذا أفاد الناس من نقده وأنا فى مقدمتهم ؟ وعلاذا ننعت نقداً لا يفيد المنقود ولا القارىء ؟ ؟

ليعفنى القارىء من الجواب ، ومن إيراد النعت اللائق بذلك النقد ، وللقارىء أن يقول فيهما ما يشاء ، ولكننى أقول إن هذه الظاهرة العجيبة فى النقد المسرحى — وهي ظاهرة نطالعها فى أكثر ما يكتب عن المسرح — حدت بالوزارة إلى إنشاء « قسم النقد والبحوث الفنية » بمعهد فن التمثيل العربى الذى أتشرف بالعمل فيه .

فهل يجد الأستاذ زحلاوى من الشجاعة الأدبية ما يحث خطاه إلينا ؟ إننى أدعوه دعوة صادقة مخلصة ، فنحن ما عشنا طلاب علم ، وإنما العلم من عند الله يؤتيه من يشاء .

زكى طليمات





١ – تاريخ ما قبل التاريخ

[مطبعة الشباب الحديثة]

الأستاذ الفاضل عبد الله حسين كاتب وصحفي معروف بسعة ثقافته وطلاوة أسلوبه وحسن تناوله للموضوعات التي يعرضها لقرائه المعجبين به ، وقد اضطره مرضه الذي أبل منه والحمد لله إلى البعد عن عالم التأليف وقتاً غير قصير ، وقد فاجأنا اليوم بكتابه الطريف « تاريخ ما قبل التاريخ » فذكرنا بمؤلفات ولز خصوصاً في كتابه « خلاصة التاريخ » الذي جمع فيه أشتاتاً من المعارف منذ خلق الله الخلق إلى اليوم ... وقد تصفحنا كتاب الأستاذ الفاضل ثم لم نجد بداً من قراءته أخيراً ... فكانت ساعات ثمينة من المتعة الذهنية لم نقف فيها إلا عند هنات لا تنقص من جهد الأستاذ ... نحسب أن أهمها ما كان يضطر إليه الأستاذ من السرد الصحفي للموضوعات ، وعدم المبالاة أحياناً بتنسيق التبويب ، فبينما يحدثنا عن الفن فلا يذكر من الفنون إلا التمثيل ، ثم ينتقل إلى الأدب والشعر (وكل ذلك في الفصل الثامن عشر) إذا به يحدثنا عن العواطف الجنسية في الفصل الحادي والعشرين ويتناول الموسيقى في هذا الموضع مع كونها في مقدمة الفنون وكان مكانها في الفصل الثامن عشر وإن مست العواطف التي يحدثنا عنها الأستاذ ... ومما لاحظناه أيضاً انتقال الأستاذ فجأة من العام إلى الخاص ، ككلامه عن الحديد في مصر في الفصل التاسع (العصور الجيولوجية وعصور المصنوعات المعدنية) وكان الأظرف جعل الكتاب عاما يدل هذا التخصيص الذي كان حقه أن يفرد بكتاب مستقل .

الحق أنه كتاب جميل ؛ فيه جهد وفيه فكر .

٢ – هارون الرشيد والبرامكة

[مطبعة جلي بدمنهور]

كتاب شائق للآنسة بنت بطوطة كتبته بالفرنسية ونقله إلى العربية الأستاذ د . ن . والكتاب قصة لهذه الفاجعة الأليمة التي انتهت بنكبة البرامكة ، والتي كان لحادثة العباسة أخت الرشيد في علاقتها الشريفة بوزير الرشيد المقرب جعفر البرمكي دخل كبير في أشنع مأساة لطخت العصر الذهبي للحكومة الإسلامية ... وقد استطاعت الآنسة بنت بطوطة أن تستعرض في الكتاب جميع الآراء المختلفة في أسلوب روائي ممتع تستحق من أجله التهنئة ، كما جاءت الترجمة العربية ترجمة سهلة في عبارة خالية من التكلف

٣ – عشاق العرب وقصر الهودج

[جماعة النشر للجامعيين]

يخطو الأستاذ الفاضل كامل عجلان المدرس بالأزهر خطى حثيثة نحو الكمال الأدبي ، ونحن يسرنا أن يلتفت شباب الأزهر إلى ضرورة المشاركة في نهضة مصر الأدبية في عالم الشعر والقصة والرواية بأنواعها ... فليس يحرم هذه الفنون على شباب الأزهريين إلا جاهل بقيمتها وقيمة الأزهر ورسالته الحديثة ... وقد بدأ الأستاذ عجلان يساهم في الإنتاج الأدبي ، فقدم للقراء مجموعته الطريفة « عشاق العرب » ، وهي خمس قصص حوارية من أروع قصص الحب في الأدب العربي أولاها ، حبابة ، وثانيتها جميل ، وثالثتها زينب بنت اسحاق ، والرابعة قيس ولبنى ، ثم الخامسة غادة الهودج وهي أطولها ، وكان الأحرى اختصاصها بكتاب قائم بذاته ... وغادة الهودج التي نثرها الأستاذ عجلان هي قصر الهودج التي نظمها صديقنا الأستاذ باكثير ... وقد وفق كل منهما توفيقا كبيراً في الوصول إلى هدفه ... وسنجري إن شاء الله موازنة بين التمثيليتين في فصل خاص عسى أن يكون قريباً .

٤ – وامعتصماه !

[دار اليقظة العربية : دمشق]

مجموعة من التمثيليات الجيدة يصلح الكثير منها للتمثيل بالمدارس ، أنشأها الأستاذ الأديب عبد الوهاب أبو السعود أحد أدباء سوريا الشقيقة ، وقد راقتنا منها القطعة الرمزية الجميلة : الوطن – بقدر ما شاقنا حسن تصريف المؤلف للحوار في المجموعة كلها ، وحسن استخلاصه لموضوعاته من أدبنا العربي الصميم .

(د . خ)